■ الدراسة الأولى

تغيير الموقف الإسرائيلي من السلام بعيون عربية

بقلم : إفرايم قام

طلبت إسرائيل منذ قيامها بأن تكون دولة مجاورة للدول العربية، و تكون دولة تسرق أوسطية كغيرها من الأمم والقوميات المجاورة في المنطقة ، وأن تكون دولة لها تطلعات اقتصادية واجتماعية ، وتقليل القضايا الأمنية، والعسكرية، مع الحفاظ على علاقات طيبة بجيرانها العرب، و كيفية تأمين مستقبلها وسطهم، لكن حتى عقد السبعينيات من القرن الماضي ، كانت إسرائيل مرفوضة من قبل الدول العربية ، التي واجهتها عسكريًا ، في حرب الاستقلال ١٩٤٨، وألغت كل نتائجها على الصعيد الإسرائيلي ، وعلى صعيد نتائج الحرب نفسها، وبعد الانتهاء من حرب الأيام الستة، رفض العرب مرة أخرى كل المحاولات الإسرائيلية المضنية لإقامة سلام معهم ، وحددت الدول العربية ثلاث لاءات في قمة الخرطوم، التي أعقبت الحرب مباشرة ، منها لا سلام مع إسرائيل، ولا مفاوضات معها ، ولا اعتراف بها أبدًا .

واعتبرت حرب ١٩٦٧، خطًا فاصلاً في العلاقات الإسرائيلية – العربية ، وحاول العرب بعد حرب ١٩٦٧، اغتيال أو قضم الحقوق الإسرائيلية ، أو نتائج الحرب كما رفضها العرب من قبل في نتائج حرب الاستقلال في عام ١٩٤٨ ، حينما رفضوا الاعتراف بنتائج الحرب ، وتداعياتها ، وتأثيرها عليهم، أو اغتيال دولة إسرائيل بشكل عام !

مع توقيع اتفاقية السلام مع مصر، في مارس ١٩٧٩، تحولت إسرائيل إلى نقطة فاصلة في تاريخها الحديث ، وأضحت دولة – بمعنى الكلمة- بعيون عربية ،

وأمّنت الاتفاقية حياة الإسرائيليين جميعهم، ما مهد الأرضية الخصبة إلى دخول دول عربية وإسلامية أخرى في إقامة علاقات ،ومعاهدات سلام مع إسرائيل، والدخول في التطبيع معهم بشكل مباشر وحيوي . ومن الصحيح أن السلام مع مصر استمر لمدة ثلاثين عامًا، لكن الوضع في الجنوب الإسرائيلي مع قطاع غزة، وفي الشمال مع حزب الله اللبناني مازال متدهورًا ، وأكثر من ذلك ، وبعد مرور ١٥ عامًا على توقيع اتفاقية السلام مع مصر ، قامت الأردن بتوقيع اتفاق مماثل ، وهو اتفاق وادي عربة ، بعدها تشجعت أكثر من دولة عربية ، وأقامت علاقات تطبيعية مع إسرائيل، وإن كانت بشكل غير مباشر ، أو غير رسمية ، لكن كل القادة ، والملوك ، والرؤساء العرب ، حاليًا ، يدركون أن الحل العسكري مع إسرائيل لن يجدي ، وأن الطريق الناجع هو المفاوضات كحل أمثل !

على النقيض فإن السلام مع مصر والأردن ، ما يزال باردًا ، ولم يؤت ثماره الطيبة بعد ، فالقاهرة لم تقم بتدعيم وتقوية العلاقات الاقتصادية، والتقنية ، والفنية مع إسرائيل ، حتى الآن ، ولم تقم بعلاقات طبيعية كاملة مع إسرائيل . و الأمر نفسه ينطبق على الأردن ، فالأردنيون لا يريدون إقامة علاقات اقتصادية كاملة مع إسرائيل ، ولم تقم الدولتان بأي بادرة طيبة تجاه تغيير رؤية العرب المصريين والأردنيين تجاه إخوانهم الإسرائيليين، وتغيير فكرهم الكارد للإسرائيليين ، فرغم أن هناك علاقات أكاديمية بين بعض الأكاديميين من البلدين مع نظرائهما من الإسرائيليين ، لكن الشرطة في البلدين تحظر ذلك فيها ، فلم تعمل الدولتين على تغيير النظرة الدونية لإسرائيل بين شعبيهما، فمعظم العرب يرون في إسرائيل ، حاليًا، تهديدًا مباشرًا ، وعدوًا رئيسيًا عليهم ، ومن هذا المنطلق لم تقم الدول العربية بلا استثناء بمحاولة تصحيح هذه الصورة، وتطبيع العلاقات الكاملة مع إسرائيل .

■ التطبيع: صعب وفاشل :

على الرغم من إقامة إسرائيل منذ ستين عامًا ، تقريبًا ، وتوقيع اتفاق سلام مع مصر منذ ثلاثين عامًا ، فإن التطبيع مع المصريين والعرب ما يزال فاشلاً حتى الساعة ، فبعض العرب يعتبرون إسرائيل في المنطقة كجذر شيطاني ، أو نبت شيطاني فحسب ، كونها الدولة الوحيدة غير الإسلامية في المنطقة ، لذلك يصفونها بالنبت الشيطاني، لأنها نتاج امبريالي ، أو صنيعة استعمارية احتلت الأراضي الفلسطينية، واغتصبت الحقوق الفلسطينية والعربية ، و قدرات إسرائيل العسكرية هي التي سمحت لها بالتعمق ، والتوغل ، أو الوجود من أساسه في قلب العالمين العربي والإسلامي ، وأن سبب وجودها ، حتى الآن ، هو مساعدة الولايات المتحدة الأمريكية لها حتى الآن عسكريًا، وماديًا ، ومع ذلك فان إسرائيل تحاول إقناع العالم العربي بوجودها ضمن منطقة الشرق الأوسط ، ومحاولة إيجاد صيغة أو لغة للتفاهم معهم ، أو للتطبيع مع الدول العربية على أساس اقتصادي كبداية للتطبيع الكامل بين إسرائيل والدول العربية، مع تبادل الخبرات العسكرية ، والتقنية ، والتكنولوجية ، أيضًا، في المستقبل .

بيد أن تشدد العلاقات العربية والإسلامية مع إسرائيل، جاء نتيجة لتزايد عدد الفصائل والحركات الإسلامية المتشددة في العالم العربي، خلال العقدين الأخيرين من القرن العشرين ، وزيادة نفوذهم وقوتهم داخل البلدان العربي، أيضًا ، ورفضهم القاطع لإقامة علاقات مع إسرائيل ، أو التطبيع معها من الأساس ، أو الاعتراف بوجودها من الأصل ، وإنهم ليسوا ضمن الدول العربية فحسب ، وإنما ضمن أو د خل المجتمع الفلسطيني على وجه الخصوص ، حيث يعتقد المتشددون أن إسرائيل تسيطر على بلادهم، وتحتلها، فقد سبق واغتصبتها عنوة ، ويجب تحريرها من الأعداء .

فهناك ما يزيد عن مليوني مسلم يقعون تحت السيطرة الفعلية للجماعات الإرهابية المتشددة ، وهذه الرؤية تزيد بزيدة أو ارتفاع عدد الإسلاميين المتشددين في العالم العربي ، وتتولى الثورة الإسلامية في إيران هذه الرؤية، وتغذيها ، وتقوم على تفعيلها ، وتنشيطها بين المسلمين – السنة والشيعة- والعرب ، على أساس أن إسرائيل نبت شيطاني ، يجب اجتثاثه من على الأرض . مع الإشارة إلى أن هناك الكثيرين من الإسلاميين والعرب الذين يرفضون تواجد حركات إسلامية راديكالية ، أو متطرفة ، ولكن في الوقت نفسه تجد أفكارهم ورؤاهم صدى واسع في الشوارع العربية ، رغم أن هذه الجماعات الإرهابية تقوض أركان الحكم والكراسي في أغلب الدول العربية ، كما أن أركان الحكم في هذه الدول تخشى، وربما تتجنب التعامل مع هذه الحركات ، أو التنظيمات المتشددة، في آن .

تكمن المشكلة الحقيقية في عدم تطبيع العلاقات بين العرب والإسرائيليين، في عدم وجود حلول ناجعة للصراع العربي -الإسرائيلي ، حتى الآن ، فالقضيتان الفلسطينية والسورية من أهم هذه الأسباب ، على اعتبار أن الملف ، أو القضية الفلسطينية هي لب الصراع العربي – الإسرائيلي ، كما أن الأراضي السورية ما تزال محتلة ، ومن الممكن مع حل المشكلة السورية أن تدخل دول عربية أخرى في التطبيع ، أو إقامة علاقات مع إسرائيل ، على اعتبار أن سوريا من الدول العربية، والإسلامية ، والمحورية في المنطقة ، كما أن الدول العربية قاطبة يرون أن الحل يكمن في إقامة دولة فلسطينية مستقلة .

أدرك العالمان العربي والإسلامي من خلال وسائل الإعلام العربية والعالمية عبر الانتفاضة الفلسطينية الأولى، أن هناك قضية فلسطينية ، وأن الفلسطينيين لم يحصلوا على حقوقهم واستقلالهم بعد ، حيث ترسخت هذه الصورة في أذهان الكثيرين،

وهى مشكلة تؤرق إسرائيل ، حاليًا ، من كيفية تغيير هذه الصورة ، كون إسرائيل دولة محتلة، وغاصبة، التهمت الحقوق الفلسطينية وما تزال تحتل الأراضي الفلسطينية حتى الآن ، وإن كان قد تحول الصراع العربي - الإسرائيلي إلى صراع فلسطيني - إسرائيلي فحسب ، لكن المشكلة ما تزال موجودة ، حتى الآن ، كما أن المشاهد القاتلة في الانتفاضتين الفلسطينيتين الأولى ، والثانية ، وعملية الرصاص المصبوب الأخيرة ، حفزت من همم المصريين والعرب ، بوجه عام، وأعربوا عن تضامنهم مع إخوانهم الفلسطينيين، وتفاعلوا معهم وضغطوا على حكوماتهم لتقديم المساعدة للشعب الفلسطيني ، وقطع علاقات الدول العربية مع إسرائيل ، وهو ما ظهر بشكل واضح خلال الأعوام العشرين الماضية بشكل عام ، خاصة مع دخول الفضائيات عصر النهضة الحديثة في كل بيت عربي .

■ إسرائيل والعالم العربي : تغييرات ضرورية :

أولاً : تبدل الحال بين العرب وإسرائيل منذ سبعينيات القرن الماضي، وتحديدًا مع مطلع العقد الثمانيني من القرن نفسه ، وخاصة بعد توقيع اتفاقية السلام مع مصر ، حيث آمن أو اعتقد غالبية القادة، والزعماء، والملوك، والرؤساء العرب بأنهم يمكنهم التعايش مع إسرائيل في جوار واحد ، أو منطقة واحدة ، وإنها باتت أمرًا واقعًا ، ودخول مصر في معاهدة سلام مع إسرائيل ، وبعدها انضمام الأردن إلى العراق في حربها ضد إيران، واندلاع الحرب العراقية – الإيرانية، وبعدها حرب الخليج الثانية، كلها أسباب جوهرية منعت تكوين جبهة عسكرية عربية ضد إسرائيل ، أو إقامة تحالف عربي واحد يضم كوكبة من الدول العربية ضد إسرائيل ، أو على الأقل مع بعضهم البعض ، ما زاد من ثقة الإسرائيليين في تدعيم وتعضيد أركان دولتهم ، فضلاً عن العلاقات الخاصة التي تجمع بين إسرائيل والولايات

المتحدة الأمريكية ! كلها أسباب جعلت القادة ، والزعماء ، والملوك ، والرؤساء العرب يؤمنون بأنه لا للحرب مع إسرائيل ، و الطريق الناجع هو الدخول في مفاوضات جادة مع إسرائيل !

ثانيًا : في منتصف العقد التسعيني من القرن الماضي ، بدأت قناتين عربيتين في الدخول مع إسرائيل في مفاوضات ، وهما القناتين الفلسطينية والسورية ، فحتى الآن لم تولد القناة السورية أي اتفاقات تذكر ، وإنما سجلت بالفشل ، لكن القناة الفلسطينية وقعت اتفاقيتين في المرحلة التاريخية نفسها ، رغم عدم تحقيقها نجاحًا ملموسًا حتى الساعة ، لكنها على الأقل جذبت الدول العربية المعتدلة إلى صفها ، أو شجعت دول عربية أخرى عبر هاتين القناتين ، أو المفاوضات مع إسرائيل .

ثالثًا: منذ سنوات قليلة بدأت بعض الدول العربية في الإيمان بأن هناك سلام يلوح في الأفق مع إسرائيل ، خاصة الجانبين السوري والفلسطيني، ووجوب الدخول في مفاوضات معها على أساس أن قادة إسرائيل يرون أن الحل يكمن في إقامة دولتين لشعبين ، وبعد الانسحاب الأحادي الجانب من قطاع غزة ، في عام ٢٠٠٥ ، اعُتبر أن التطبيع مع إسرائيل سيكون متاحًا وممكنًا في حال انسحبت إسرائيل من الأراضي العربية والفلسطينية التي احتلت ، عام ١٩٦٧ ، مع حل مشكلة اللاجئين الفلسطينيين .

رابعًا: واجهت الدول العربية العديد من القضايا ، والمشاكل الجوهرية ، والخطيرة خلال الأعوام القليلة الماضية ، مثل التهديد النووي الإيراني ، والوضع المتدهور في العراق ، واحتلال أراضيه على يد الأمريكيين ، و زيادة المد الشيعي في المنطقة ، وتقوية نفوذه مع الحركات الراديكالية في العالم العربي ، والعالم ككل ، تنظيمات الإرهاب العالمية ، مثل تنظيم القاعدة ، وتأثيره على الدول العربية الحاكمة

، ومشاكل اجتماعية واقتصادية ، مثل الأزمة المالية العالمية ، وآثارها على الشارع العربي ، وكل هذه المشاكل جعلت من العرب الإيمان بأن حل القضية الفلسطينية له الأولوية القصوى على أى قضايا أخرى .

بل تجب الإشارة إلى أن تقوية نفوذ حزب الله في الجنوب اللبناني ، وحركة حماس في قطاع غزة ، قد أزعج العديد من الدول العربية ، خاصة المعتدلة منها ، ما يعني تقوية النفوذ الإيراني في المنطقة ، ووصوله إلى شاطئ البحر المتوسط ، كما أن نجاح حزب الله وحماس في حروبها الأخيرة مع الجيش الإسرائيلي ، في عامي ٢٠٠٦ ، و ٢٠٠٩ ، زاد من تعاطف الشارع العربي معهما بقوة ضد الأنظمة العربية المعتدلة ، على وجه الخصوص ، وباتت هذه الأنظمة تنظر إلى حماس وحزب الله بنظرة مختلفة بعض الشئ في أنها أثارت الشارع العربي علي كراسيهم ، ومقاليد حكمهم ، وبأنهما يقوضان أركان هذا الحكم ، والتخوف من تحول الشوارع العربية إلى الانزواء تحت لواء التيارات الراديكالية ، خاصة وأن إسرائيل حصلت على تأييد واسع من بعض الدول العربية ، أثناء الحرب اللبنانية الثانية ، وأثناء الحرب الأخيرة على غزة !

■ مبادرة السلام السعودية/ العربية :

دخلت المبادرة العربية السعودية التي أعلن عنها الملك عبد الله بن عبد العزيز ، حينما كان وليًا للعهد في عام ٢٠٠٢ ، وأقرت في قمة بيروت من نفس العام ، مرحلة أخرى ، وفاصلة في تاريخ الصراع العربي – الإسرائيلي ، والتي تقوم على أساس الانسحاب الإسرائيلي الكامل من الأراضي العربية المحتلة ، في الخامس من يونيو ٦٧ ، مقابل التطبيع مع إسرائيل ، وإقامة دولة فلسطينية مستقلة عاصمتها القدس ، مع حق عودة اللاجئين الفلسطينيين إلى ديارهم ، أو على الأقل التوصل إلى حل عادل وشامل لمشكلة اللاجئين ، وفقًا للقرار ١٩٤ الصادر عن الأمم

المتحدة ، وهى الخطوط الرئيسية للمبادرة العربية للسلام ، لتنهي الدول العربية صراعها الأبدي مع إسرائيل ، على أساس التطبيع الكامل معها .

واجهت المبادرة العربية عدة مشاكل في طريقها ، من بينها مدى الاعتراف بدولة إسرائيل من عدمه ، ومدى إمكانية تواجدها وسط الدول العربية والإسلامية ، وخاصة وفقًا لقرارات قمة الخرطوم ١٩٦٧ ، وبسبب هذا التغيير في المبادرة العربية للسلام لم يقم اتفاق سلام مع الجانب العربي ، حتى الآن ، كما أن انتفاضة الأقصى أرجعت المبادرة بعض الشئ ، أو طمرتها لفترة من الوقت ، فضلاً عن أن حكومة إرئييل شارون السابقة ، رفضت هذه المبادرة في مهدها ، ولم تفسح لها الفرصة الكافية من النقاش والتحليل ، فقد رفض شارون الدخول في مفاوضات مع العرب خلال فترة توليه الحكم ، كما أن مطالبة العرب بالاعتراف بحقوق اللاجئين الفلسطينيين ، وفقًا للقرار رقم ١٩٤ : كان يعني الاعتراف الإسرائيلي الكامل بحقوق الفلسطينيين ، وهو أمر رفضه شارون ، تمامًا ، ورفضته الحكومة الإسرائيلية ، آنذاك، وكان قرار المبادرة العربية يعني تقليص الهوية اليهودية للإسرائيليين ، كما أن أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١ ، نتيجة سلبية على هذه العلاقات ، أيضًا.

بيد أن معاودة مناقشة وطرح المبادرة العربية ، منذ عام ٢٠٠٧ ، كحل ناجع للقضية الفلسطينية ، وللصراع العربي - الإسرائيلي ، كان مؤكدًا وبارزًا بصورة لافتة للنظر ، حيث تبنتها القمة العربية التي عقدت في الرياض ، في عام ٢٠٠٧ ، وزادت من فعاليتها في كافة وسائل الإعلام العالمية ، والعربية أيضًا ، ما أبرزها بشكل خاص للعالم أجمع ، وعادت ونشرت المبادرة العربية للسلام في الصحف الإسرائيلية ، في نوفمبر ٢٠٠٨ ، لكن تقوية الحلف الشيعي - الراديكالي على حساب الدول العربية المعتدلة ، كان له أثرًا سلبيًا في المقام الأول ، أيضًا .

وتجدد مسار السلام مرة أخرى ، في نوفمبر ٢٠٠٧ ، خلال قمة انابوليس بالولايات المتحدة الأمريكية ، على أساس تجدد اللقاءات والمفاوضات بين الجانبين الفلسطيني والإسرائيلي ، لكن منذ سيطرة حركة حماس على قطاع غزة ، في يونيو ٢٠٠٧ ، وتبدل الحال ، تمامًا، على الطرفين الإسرائيلي والفلسطيني ، أيضًا . وتغير الحال بعد العملية العسكرية للجيش الإسرائيلي على قطاع غزة ، في يناير ٢٠٠٩ ، وتوقفت عملية السلام بين الطرفين ، خاصة وأن قمة غزة الطارئة في الدوحة ، بعيد الحرب أوقفت أو ألغت التعامل بالمبادرة العربية للسلام ، نتيجة لما اقترفته إسرائيل بحق الفلسطينيين في غزة ، وقال الرئيس السوري ، بشار الأسد ، إن المبادرة العربية للسلام ماتت ، رغم أن ثلاث دول عربية كبيرة لم تشترك في القمة ، وهى مصر ، والسعودية ، والأردن ، والسلطة الفلسطينية ، أيضًا .

■ مكانة إسرائيل في عيون العرب :

تغيرت نظرة العرب لإسرائيل لأكثر من مرة خلال الأعوام الستين الماضية ، نتيجة لحزمة من الأسباب الجوهرية ، والمختلفة ، وكذا ما سيقدمه العرب من أجل إحلال السلام في الشرق الأوسط ، لكن يبدو أن المصالح المشتركة لإسرائيل مع الدول العربية ، سيكون لها اليد العليا خلال الفترة القادمة ، وإن كان علينا الاعتراف بأن العرب قدموا مبادرة حقيقية للسلام مع إسرائيل ، والسعودية نفسها سبق وأن قدمت مبادرة عربية ، أو سعودية للسلام ، في عام ١٩٨١ ، خلال فترة الملك ، فهد بن عبد العزيز ، حينما كان وليا للعهد ، أيضًا .

لكن هناك نتائج يجب أن نتوصل إليها مما سبق ذكره :

١ - إن السوريين والفلسطينيين لا يريدون سلامًا حقيقيًا مع إسرائيل ، فالعالم العربي ينظر إلى إسرائيل بصورة مغايرة ، مع الإشارة إلى أن المبادرة العربية تقدم

تطبيعًا كاملاً من العرب لإسرائيل .

٢- يمكن للعرب أن يقنعوا السوريين والفلسطينيين بأن السلام هو الحل الناجع ، حتى يمكن حل قضية أبدية في الشرق الأوسط ، وتقديم أطر ومسارات سلام جديدة .

٣- إن على إسرائيل أن تقبل قرارات صعبة في خيارها مع الجانب الفلسطيني .

٤- على العالم العربي أن يمارس الضغط على الجانب الفلسطيني ، ليقبل هو الأخر بشروط ، وممارسات إسرائيلية ثانية، لتقديم السلام مع إسرائيل ، ونفس الأمر مع الجانب السوري يجب أن يمارس عليه ضغوط من أجل الدخول في مفاوضات مباشرة مع إسرائيل للتوصل إلى اتفاق سلام عربي -إسرائيلي شامل .

٥- احتمال أن تقبل الدول العربية تواجد قوة دولية لحفظ السلام على غرار موافقة مصر على تواجد هذه القوات على أراضيها ، مثل المساعدة في منع تهريب الاسلحة إلى قطاع غزة من مصر .

٦- توقيع اتفاق سلام فلسطيني - إسرائيلي ، وسوري - إسرائيلي ، يمكنه تقويض أركان الجماعات ، والتنظيمات الراديكالية التي تريد شق صف الأنظمة العربية بوجه عام ، وسيعمل كل اتفاق على حدا على فك ارتباط إيران بكل من سوريا ، وحزب الله ، وحماس ، وكافة التيارات المتشددة في العالم العربي ، وسيقلل بدوره من النفوذ الإيراني في المنطقة .

بيد أن المشكلة الحقيقية تكمن في إقامة علاقات ، أو إجراء مفاوضات بين الجانب الإسرائيلي مع كل من السوريين والفلسطينيين ، وليس على أساس المبادرة العربية للسلام ، وإن كانت ستساعد على تقوية هذه المفاوضات ، والانتهاء بتوقيع اتفاق كامل مع إسرائيل ، ومنذ الآن فصاعد ، يجب على العالم العربي الضغط على

الفلسطينيين للقبول بشروط ، واتفاقات ، وتنازلات إسرائيلية جديدة لاستمرار مسيرة السلام بينهما ، لأن القضية الفلسطينية هي لب الصراع العربي - الإسرائيلي ، وبحلها ستحل كافة القضايا الأخرى في المنطقة.

ونشير إلى أن إسرائيل حتى الآن ، ما تزال متخوفة من المبادرة العربية للسلام ، على أساس أنها تجبرها على تقديم بعض التنازلات ،مثل حق عودة اللاجئين الفلسطينيين ، وهي مسألة تستحق النقاش طويلاً ، كما إن لإسرائيل مصالح مشتركة مع الدول العربية في الوقت الراهن ، أهمها التهديد النووي الإيراني ، والنفوذ الإيراني الشيعي في منطقة الشرق الأوسط ، والإرهاب العالمي ، ومحاربته من قبل إسرائيل والعرب معًا ، ما يعني أن المعسكر العربي المعتدل لديه مصالح مشتركة متعددة ، ومختلفة المصالح مع إسرائيل نفسها ، وانه إذا أراد العرب التعامل مع إسرائيل ، فعليهم الضغط على سوريا والفلسطينيين للقبول ببعض التنازلات ، وتقديم العون ، والمساعدة في محاربة الإرهاب العالمي ، وخاصة الراديكالي منه ، وبذلك يمكننا تقديم مفاوضات على أساس مسيرة سلام تؤدى في النهاية إلى سلام حقيقي بين العرب وإسرائيل !

◆◆◆